البدو في عكار بشمال لبنان :
دراسة في التاريخ الاجتماعي

نافذ الأحمر

المقدمة

عرفت عكار قدوم موجات من البدو إليها منذ الفتوحات العربية الأولى، حيث تدفقت أعداد منهم مندفعة وراء الجيوش المتقدمة الفاتحة، ساعية وراء الماء والكلأ وطالبة الارتزاق والعيش في مواطن توارُدها. وكانت عكار في المناطق الساحلية منها وتلك المحاذية لمجاري الأنهر والمياه، من المواقع الجذابة الصالحة للرعي وتربية المواشي.

لكن العناصر البدوية هذه، لم تكن لتستقر في عكار لمدة طويلة، ولم تعرف الاستيطان والإقامة، بل كانت رحلاتها موسمية وحسبما تقتضيه مصالحها المعيشية والرعوية.

تاريخ البدو في عكار

اعتباراً من نهاية القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر، تدفقت إلى عكار عناصر بشرية جديدة معظمها من البدو الرحل الذين قدموا إليها من بلاد نجد ضمن هجرات اتحادات القبائل البدوية كآل نعيم وعرب آل موسى[1] وعرب

(١) سجلات المحكمة الشرعية في طرابلس، السجل الثاني، ص ١٠٥. والسجل الثالث، ص ١٦ والسجل السابع، ص ١٧١. والسجل التاسع، ص ٩٥. والسجل الثالث عشر، ص ٦١ ـ ٦٢.

الزريقات. وقد استمرت هذه الهجرات حتى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين[١].

استقرت هذه القبائل بادىء الأمر في جهات حمص. لكن خلافات حصلت فيما بينها دفعت بالبعض إلى ترك هذه المنطقة إلى جهات أخرى. وقد تسربت إلى عكار مجموعات من هذه القبائل البدوية من عرب الموالي[٢] وعرب نعيم وعرب آل موسى وعرب الطراف[٣]. فاستقرت في منطقة السهل وأنشأت بعض التجمعات والقرى الصغيرة. وما لبث أفراد هذه القبائل إن اختلطوا بالسكان المحليين عن طريق التزاوج والمصاهرة، وأصبحوا يشكلون مع مرور الزمن جزءًا منهم.

وكان ضعف القوة المحلية غير القادرة على صد البدو عن تخوم عكار، من الأسباب الهامة التي مكنتهم من نصب خيامهم وإقامة مضاربهم في سهل عكار ومنطقة وادي خالد والاستقرار فيهما. كما أنها أتاحت لهم ممارسة أعمال الشغب والإخلال بالأمن في الأنحاء التي قطنوها.

إن سكن القبائل البدوية في عكار تركز بشكل خاص في منطقتي السهل الذي يؤلف الساحل العكاري على البحر المتوسط وفي وادي خالد المنطقة المتاخمة لمجرى النهر الكبير الذي يشكل الحدود الطبيعية بين لبنان وسورية.

توزعت القبائل البدوية في عكار على الشكل التالي:

في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر «قامت عدة قبائل بدوية بالسيطرة على المناطق التي تواجدت فيها، مثل قبائل العنزة في بادية الشام التي وصلتها في أواخر

(١) ضحى شطي، توسع البدو في بلاد الشام وانحسارهم، دراسة نشرت في أعمال المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام سنة ١٩٨٣، ج١، ص ٤٠٣ ـ ٤٠٧.

(٢) محمد التميمي ورفيق بهجت، ولاية بيروت، بيروت، دار لحد خاطر، الجزء الثاني ١٩٧٩، ص ٢٤٨.

(٣) سجلات المحكمة الشرعية في طرابلس، السجل الثامن، ص ٩٥ وص ٣٢٦. والسجل التاسع، ص ٨٨. والسجل العاشر، ص ٢٤٠. والسجل الثالث عشر، ص ١٠٩. والسجل الرابع عشر، ص ٢١٣ ـ ٢١٤.

القرن السابع عشر، وحلّت محل تجمع قبائل الموالي وتحكمت في الطريق التجاري بين دمشق وبغداد»[١].

أما في عكار فينتشر البدو حالياً على الشكل التالي:

ـ عرب الزريقات:

يردُّ عرب الزريقات تحـدُّرهم النَسَبي إلى الإمام زين العـابدين عـلي بن الحسين[٢].

خرجت هذه العشيرة من الجزيرة العربية مع بداية العصر العباسي حوالي القـرن التاسـع وأُرسلت لحمايـة الثغور السـاحلية في بـلاد الشام من الهجـمات البيزنطية. وبوصولهم إلى منطقة اليرموك، أمر الخليفة بتوزيعهم إلى فئتين:

الأولى: اتخذت لها مراكز ومواقع تمتد على طول الساحل اللبناني الجنوبي من الزهراني حتى بيروت.

الثانية: أرسلت إلى مناطق الرها في آسيا الصغرى.

وبقي قسم قليل منهم في الأردن. ولم تزل هذه القبيلة معروفة هناك حتى اليوم تحت اسم «الزريقات».

أما في لبنان، فقد ظلّت هذه العشيرة في سواحل بيروت حتى القرن الثاني عشر وقد تركت الساحل باتجاه الجرود الشمالية الشرقية بعد تعرضها لمضايقات في العهد الصليبي وحطّت بها الرحال في منطقة تنورين حيث نصبوا مضاربهم هناك. ولم تزل آثارهم قائمة فيها حتى الآن بدلالة وجود بعض المقابر. ثم تركوا تنورين على أثر وباء الجدري الذي عمّ المنطقة وقضى على العديد من أفراد هذه العشيرة. ورحل من بقي منهم على قيد الحياة باتجاه الساحل الشمالي، فخيّموا في ضهور المنية وبالتحديد في منطقة مركبتا[٣].

(١) عبد الكريم رافق، بحوث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لبلاد الشام في العصر الحديث، كلية الآداب، دمشق، ١٩٨٥، ص ن.

(٢) مقابلة مع الشيخ توفيق محمد الشاتي أحد مشايخ عرب الزريقات بتاريخ ١٩٩٢/٣/٢٩.

(٣) يقال إنها سميت كذلك نتيجة لشتاء قارس. وتتألف من: «مر» و«كبت» فصارت مركبتا.

لكن الجدري لم يهادنهم، بل لاحقهم أيضاً إلى مركبتا، فرحلوا مجدداً بعد أن تركوا ثلاث عائلات فقط ألّفت فيما بعد عائلة زريقة الحالية في المنية. وتوزع الآخرون إلى عدة اتجاهات، منهم من قدم إلى عكار وحلّ في قرية تل سبعل في منطقة السهل، وكان ذلك في غضون القرن الثامن عشر. وقسم رحل إلى قرية مربين في الضنية، ولم يزالوا حتى اليوم هناك ويعرفون باسم «بيت خويلد». وآخرون توجهوا إلى مرج الطويل الواقعة في أعالي جبال عكار، ثم رحلوا مجدداً من هناك، لكن بقيت أملاكهم في قرية مرجحين في تلك المنطقة حتى حوالي سنة ١٩٧٥.

أما البطون البدوية من عرب الزريقات الذين قدموا إلى عكار، فقد استقروا في المنطقة الوسطى من سهل عكار حيث سكنوا الخيام وبيوت الشعر، يسعون وراء الماء والأعشاب حيث يسرحون الأغنام والمواشي في سهل عكار الذي كان في عهدة المراعبة حكام تلك المنطقة منذ منتصف القرن الثامن عشر. وكان المراعبة يسمحون للبدو بالسكن ورعي مواشيهم في مناطق أقطاعهم، مقابل تزويدهم بالمنتجات الحيوانية من لحوم وحليب وألبان وأجبان. كما كانوا يستخدمون بناتهم للخدمة في منازلهم.

في عهد الاستقلال، بدأ البدو شراء الأراضي حيث كانوا يقيمون إما من «البكوات» المراعبة أو من مالكين آخرين لهذه الأراضي كأهالي قرى منيارة والجديدة والشيخ طابا والشيخ محمد والنفيسة وتل عباس، واتخذوا منها أماكن سكن دائمة لهم.

سنة ١٩٣٢ استحصلوا على الهوية اللبنانية خلال عملية الإحصاء التي قام بها الفرنسيون إبان انتدابهم على هذه البلاد.

أما انتقالهم من حياة البداوة إلى حياة التحضر فبدأ في الخمسينات من هذا القرن، مع عمليات البناء الحديث التي بدأت بطيئة وازدهرت في السبعينات.

ويتوزع عرب الزريقات اليوم في عدة قرى من عكار وهي:

ـ برج العرب:

تقع على طريق عام العبدة ـ حلبا. جميع سكانها من عرب الزريقات من عشيرة آل حامض. كنيتهم الحالية آل رحيّل الضاهر. اشتهر منهم الشيخ أحمد رحيّل الضاهر الذي لعب دور التهدئة والحكم في الخلافات التي كانت تنشب بين أفراد عشيرته في عهود الاستقلال وخاصة في عهد الرئيس الراحل فؤاد شهاب. وما يزال حتى اليوم مرجعاً معتبراً في عشيرته يفض المشاكل ويحل الخلافات طبقاً للتقاليد العربية العشائرية. وقد حصل من الرئيس شهاب على قرار رقمه ٨٦٢ يقضي بتعيينه شيخاً لعشيرة عرب الزريقات، إضافة إلى مشايخ آخرين لهذه العشيرة عينوا بحسب مناطق توزعهم كالشيخ محمد خضر أبو شقرا عن المنطقة ذاتها، والشيخ جميل الحاج عن منطقة الكرنتينا. والملفت أن هذه الأخير بقي حتى وفاته يرفع علم زين العابدين فوق منزله[١].

ـ بلانة الحيصة:

تتبع عقارياً لقرية السمونية، أما سجل النفوس فهو في قرية الحيصة. جميع سكانها من عرب الزريقات ـ عشيرة واكد. يتزعمهم الشيخ توفيق محمد الشاتي الذي بحوزته قرار رقمه ٧٩٧ تاريخ ١٩٦١/٨/٧ من محافظ لبنان الشمالي بتعيينه شيخاً لعشيرة آل واكد من عرب الزريقات المقيمين في عكار.

ويفضّل سكان بلانة الحيصة إطلاق اسم «خليج العرب» على قريتهم في حال الحصول على تسمية رسمية. كما أن الطلب المقدم لإقامة مركز للهاتف بالإضافة إلى الأملاك المخصصة كوقف للمسجد هما تحت اسم «خليج العرب».

ـ تل حياة:

تقطنها قبيلتا الهباشة وخويلد اللتان تعودان في أصلهما إلى عرب الزريقات.

ـ قرية بدّوع: الواقعة بالقرب من ببنين تقطنها عشيرتا حامض وندّى من عرب الزريقات ويعرفون أيضاً بآل الشمالي.

---

(١) مقابلة مع السيد خضر أحمد رحيّل الضاهر من برج العرب بتاريخ ١٩٩٢/٣/٢٤.

ـ حارة الجديدة: الواقعة في سهل عكار بالقرب من مفرق حمص. تقطنها عشيرة حمد من عرب الزريقات.

ـ كفرملكا: يتواجد قلة من عرب الزريقات في هذه القرية.

ـ وادي الحور في منطقة الدريب في عكار.

ـ قشلق: يعتقد أن تسميتها تركية الأصل وتعني الثكنة أو مركز إقامة الجنود. وقد تكون مركز تجمع عسكري في عهد السلطنة العثمانية. وعلى أثر انسحابهم أقام البدو فيها واتخذوها مركزاً لسكنهم.

ـ وادي النحلة بالقرب من مخيم البداوي في طرابلس. يتواجد فيها قسم من عرب الزريقات وقسم آخر من العجارفة.

ـ آل زريقة في المنية يتفرعون من عرب الزريقات. كما تنتشر الكثير من العائلات الزريقية في مدينة طرابلس وفي بعض القرى الأخرى من عكار.

والجدير بالذكر أنه توجد شجرة لعائلة عرب الزريقات بحوزة وزير الاقتصاد التركي السابق السيد صالح أورجيان. وهي مدونة على جلد غزال تبيّن أماكن توزعهم في مناطق آسيا.

ويبلغ العدد الإجمالي لعرب الزريقات في عكار حوالي الثمانية الآف نسمة عاش عرب الزريقات في بيوت من الشعر حتى منتصف الخمسينات. حتى أن الكثير منهم بقي وحتى فترة قريبة يفضل حياة البداوة على حياة التحضر، وبخاصةٍ أن هؤلاء ابتنوا لأنفسهم منازل حديثة، لكنهم ظلوا في الوقت نفسه، يتنقلون مع أغنامهم وبقية مواشيهم سعياً وراء الماء والكلأ ولا يعودون للسكن في هذه المنازل إلّا خارج فترات الرعي.

عرب النعيم:

تعيش أكثريتهم في سورية. أما في لبنان، فيتوزع البعض منهم في قرى القليعات، تل حياة، بلانة الحيصة، كذلك في مناطق البداوي والفوار في ضواحي طرابلس، وفي الضنية، ويعرفون في هذه المناطق باسم «العجارفة».

أعدادهم قليلة لا تتعدى حدود المئة شخص. ويتفرع منهم أيضاً عرب العموري أو العمامرة الذين يسكنون في منطقة الشيخ عياش في عكار.

عرب الموالي:

يستقرون في حارة الجديدة القريبة من مطار القليعات لجهة البحر ويعرفون هناك بعرب الدندش. عددهم حوالي المئة شخص. ويعيش قسم منهم في منطقة الفاعور في سهل البقاع الشرقي، يتزعمهم الشيخ فارس المولى.

عرب الجحيش:

يعرفون حالياً بعرب الشاطىء. يعيش معظمهم في سورية. وكانوا في السابق يتنقلون على طول الساحل اللبناني ـ السوري.

عرب الميلاك:

يقال لهم عرب «المُلْك». معظمهم يعيش في سورية، باستثناء أفراد قليلين منهم يعيشون في منطقة البداوي.

عرب العريضة:

يعودون في أصلهم إلى نعيم. يعيشون في قريتي العريضة والشيخ زنّاد.

عرب آل عيسى:

يعيش قسم منهم في قرية العريضة في عكار. والقسم الآخر في منطقة التبانة في طرابلس. عددهم حوالي الأربعماية شخص. انتموا إلى عرب الزريقات طلباً للحماية والوصاية.

عرب الحسنة:

انتقلوا بمجملهم إلى سورية حيث يعرفون هناك بعرب «عنزة». والجدير بالذكر أن لقب أو تسمية بدوي، أول ما أُطلقت على عرب «عنزة».

عرب اللهيب:

يسكنون منطقة تل عباس في عكار. لعبوا دوراً هاماً في عهد السلطنة العثمانية، خاصة أثناء تطبيق نظام الالتزام، حيث كان يعهد إليهم بمهمة جباية الأموال الأميرية والالتزام في مناطق تواجدهم[١]. يتزعمهم حالياً الشيخ شمص علي العبود القاطن في حكر الحوشب وفي قرية تل قندي بالقرب من العبودية في سهل عكار. كما يتوزع بعضهم في وادي النحلة في منطقة البداوي. يبلغ عددهم حوالي الثلاثماية شخص. أما الأعداد الكبيرة منهم فتعيش في مناطق سورية وفلسطين المحتلة.

عرب السميكة:

يرجح أنهم يعودون في أصلهم إلى عرب آل عيسى. يتواجدون في قرى تل بيبي والسماقية والكنيسة.

عرب بني ربيعة:

يرجح أنهم من النَوَر الرحل ولا يمتون إلى الأعراب بصلة.

عرب عبادي:

يعودون في أصلهم إلى عرب الزريقات.

عرب الكريدين:

يعيش معظمهم في خلده ـ والقسم القليل منهم في سهل عكار.

عرب الحديدية:

أعدادهم قليلة. أكثرهم في سورية والقليل منهم في سهل عكار.

عرب علوان:

أصلهم من عرب الكعيبية (بني كعيب). يعرفون بحسب اللهجة البدوية بعرب الشعيبية. يتفرع منهم عرب عويّد وزعبي والدكوم. يسكنون في تل حياة والشيخ عباس والعبودية ووادي الحور. يتزعمهم الشيخ يوسف عويّد.

(١) سجلات المحكمة الشرعية في طرابلس.

عرب الشقيرات وإدريس:
يسكنون في قرية الكنيسة في سهل عكار.

عرب الشطيحات:
يسكنون في قرية الشيخ عياش.

عرب بني خالد:

يقطنون في قرية القليعات بأكثريتهم. عددهم لا يتجاوز الألف شخص. تتفرع منهم عائلتا خشفة وحكوم[١].

عرب بني خلوف أو الخلافة:

يسكنون في قرى العريضة ومقبرين ومنطقة سهل عكار القريبة من البحر.

عرب وادي خالد

القسم الآخر والأكثر عدداً من البدو في عكار، يتوزع في منطقة وادي خالد.

لمحة تاريخية:

تشكل منطقة وادي خالد الحدود الشمالية الشرقية للبنان ويحدها من الشمال والشرق: سورية. ومن الغرب سهل البقيعة وقرى مشتى حسن ومشتى حمود وشدرا. ومن الجنوب: جبال أكروم.

يتراوح ارتفاعها عن سطح البحر بين ٤٠٠ متر في قرية الرامة و ٥٧٠ متراً في أعلى قراها. تبعد عن بيروت لجهة الشمال ١٥٠ كلم. وعن طرابلس ٧٠ كلم. وعن حلبا مركز قضاء عكار ٤٥ كلم.

مناخها حار في الصيف لوقوعها في منخفض مجوف، وبارد في الشتاء. تهب عليها رياح شمالية شرقية باردة فتؤثر سلباً على المزروعات والمواشي وحتى على

(١) مقابلة مع السيدين طارق خضور وأحمد مهنا في قرية تل حياة بتاريخ ١٠/٥/١٩٩٢.

السكان. تتناثر في وادي خالد العديد من القرى والمزارع وتنتشر صعوداً من الغرب إلى الشرق بمحاذاة النهر الكبير مروراً بنبع الصفا الذي يشكل أحد الينابيع الهامة لهذا النهر. وهذه القرى هي: خربة الحياة ـ العريضة اللبنانية ـ ناصرية ـ زبدين ـ الهيشة ـ العوادة ـ الرامة ـ المجدل ـ العماير ـ رجم خلف ـ رجم حسين ـ رجم صالح وكانت تسمى قبلاً رجم عيسى ـ الكلخه ـ قرحا ـ حنيدر ـ الكنيسة ـ الدبادب وجوار منايا.

جميع سكان هذه القرى هم من البدو الذين استقروا فيها على مر السنين، وتحضروا حديثاً بعدما انتقلوا من طور البداوة وحياة الرعي والتنقل، إلى الاستقرار في منازل مبنية حديثاً. وهم يدينون بالإسلام على المذهب السني الحنفي. وتوجد في الوادي الكثير من الآثار التي تعود إلى عهود تاريخية مختلفة، خاصة العهد الروماني.

التسمية:

يقال إن تسمية وادي خالد تعود إلى خالد بن الوليد[١]. إذ بعد معركة اليرموك والانتصارات الكبيرة التي حققها جيشه في بلاد الشام، بلغ الساحل حيث أصابه المرض فعسكر بجيشه في الوادي، الذي حمل اسمه فيما بعد، استعداداً للتوجه إلى نواحي حمص لفتحها. وهناك رواية شعبية تقول إن فترة إقامة القائد خالد بن الوليد في الوادي قد طالت وعطش جيشه، فضرب الصخرة بسيفه طالباً الماء، فاستجاب الله له، وفجّر النبع المعروف بنبع الصفا الذي يشرب منه أهل الوادي حالياً.

كما أنهم يشيرون إلى ضريح دفنت فيه فرس خالد بن الوليد قرب قرية العماير. وهناك رواية أخرى تقول إن الوادي حمل اسم خالد نسبة إلى جد عشيرة عربية من عرب العنزة يدعى خالد فتسمى الوادي باسمه. إضافة إلى هذه التأويلات، يقال إن قلة من السكان تنتمي إلى قبيلة «بني خالد»، التي مقرها

(١) مقابلة مع الشيخ علي أحمد العلي المعروف محلياً باسم «أبو مالك الدوش». وهو شيخ عشائر عرب العتيق في وادي خالد.

الأردن، جاء أفراد منها وسكنوا الوادي فسُميّ باسمهم.

لمحة تاريخية:

حوالي سنة ٥٠٠ م. وبعد انهيار سد مأرب، ارتحل العرب المتحدرون من يعرب بن يشجب بن قحطان متخذين طريقين لهما، فريق يمم وجهه باتجاه الشاطىء الشرقي إلى العراق ومنهم المناذرة والتبابعة وتغلب واللخميين. وفريق آخر اتخذ وجهته شاطىء البحر الأحمر واستقروا في الأردن وفلسطين وحوران في جنوب سورية، برزت بينهم عشيرة بني صخر في الأردن ومنهم عرب المجال وعرب الفحيلين الذين تحدر منهم الدنادشة، الذين يتوزعون بين حمص في سورية وطرابلس في لبنان، وتتركز تجمعاتهم السكنية حالياً خاصة في قرى مشتى حمود ومشتى حسن وسهل البقيعة.

يسكن وادي خالد حالياً قبيلتان كبيرتان هما العتيق وغنام. وقد تركزت التجمعات السكانية بادىء الأمر في المنطقة السهلية من الوادي المحاذية لمجرى النهر الكبير. وكان البدو يحرصون على السكن في مناطق يسهل التنقل فيها دون التوغل في الأماكن الوعرة، وبخاصةٍ أن مصلحتهم كانت تقضي ببقائهم قرب مصادر المياه ومجاريها وحيث المراعي الضرورية لتسريح مواشيهم والرعي فيها. ولم يكن ينتشر في الوعر الاّ بعض المزارع المتفرقة، يلجأ إليها الرعاة في بعض الأحيان إذا داهمهم الليل، وعند تعذر عودتهم إلى حيث ينصبون خيامهم ويضربون أطنابهم.

أما الجبال المحيطة بالسهل، فكانت كناية عن أحراج مكسوة بأشجار السنديان والسرو والشربين والعفص والعرعر، وتمتد من هضاب أكروم حتى بحيرة قطينة في سورية كما كانت مرتعاً لكثير من الحيوانات المفترسة كالخنازير البرية والذئاب والضباع.

ومنذ القدم كانت هذه المنطقة، تستقطب مجموعات من البدو الرحل، تؤمها من البوادي العربية في الأردن وسورية والعراق، في فترات الجفاف نظراً لتوفر المياه والمراعي ولسهولة الوصول إليها ضمن دورة رعوية يعودون بعدها إلى

مواطنهم الأصلية. ومع الوقت، أخذت بعض هذه القبائل تستقر في وادي خالد متنقلة من سهله شتاء إلى جبله صيفاً. وفي زمن السلطنة العثمانية خضع البدو في وادي خالد لسلطة الدنادشة حكام إقليم الشعراء وملتزمو الضرائب هناك في ذلك الوقت. وكانوا بحكم تواجدهم يعملون في رعي المواشي والزراعة والنقل بحسب ما يطلبه منهم الأغاوات. وكانت النساء تقوم بحصاد المزروعات والعمل في الحقول. أما الرجال فكان عملهم نقل المواسم على ظهور الجمال.

إضافة إلى ذلك، كان الأغاوات يغضون الطرف عن إقامة البدو في النواحي التي هي تحت سيطرتهم للاستفادة من روث القطعان التي تستعمل كأسمدة للأراضي الزراعية ويستفيدون أيضاً من المنتجات الحيوانية كاللحوم والحليب. إضافة إلى أن قسماً من هؤلاء البدو كانوا يخدمون في بيوت الأغاوات لقاء أجر زهيد. وقد ساعدهم على هذا العمل أن دورتهم الرعوية تبدلت من تحرك دوري في طلب الماء والكلأ المتوفرين بشكل دائم في وادي خالد، إلى تحرك فصلي حباً بالتنقل وتغيير أماكن السكن إلى أماكن أخرى أكثر ملاءمة.

وبالإمكان اعتبار سكان الوادي من العرب حتى قبل استقرارهم واتخاذهم أماكن سكن ثابتة، خاصة أنهم في دوراتهم الرعوية، لم يكونوا يهيمون مطلقاً في الصحارى.

وقد اعتبر وادي خالد وسهل البقيعة مناطق زراعية وحرجية. وكان العرب ينصبون خيامهم المكونة من بيوت الشعر ويقيمون فيها وفي المغاور المنتشرة في تلك المنطقة دون الإقدام على عملية البناء الحديث. ففي عام ١٩٥٨، لم يكن هناك سوى ثلاثة بيوت من الحجر، إثنان في قرية العمايِر والآخر في المجدل.

وحسبما يروي السكان، فإن الدفعة الأولى من العرب قد استوطنت وادي خالد منذ عام ١٧٨٥م. وقالوا إنهم ينتمون إلى بني خالد.

وبعد الحرب العالمية الأولى، قدمت إلى الوادي دفعة ثانية من قبائل العرب أتت على مرحلتين، واحدة من جوار بحيرة قطينة في حمص وأخرى من معرة النعمان، بينهم عرب العتيق وعرب الغنّام. مقابل ذلك، رحل عن الوادي بعض من القبائل التي كانت تسكنه عام ١٩١٤ منها:

ـ الكعبيين الذين انتقل قسم منهم إلى سهل عكار وقسم آخر إلى الهرمل.
ـ الحديديين الذين انتقلوا إلى الجانب الآخر من النهر الكبير وتوطنوا في سورية.

ـ قبيلة نعيم الخير أو النعميين الذين انتقلوا إلى سهل عكار وبقيت منهم عائلة واحدة في وادي خالد.

وكانت العائلات البدوية المنتشرة في وادي خالد تؤلف عشائر لها مشايخها ورجالها المجهزون عسكرياً، وكانت لهم الاستقلالية في جمع الضرائب وجباية أموال الميري والاهتمام بالأراضي السلطانية.

والجدير بالذكر، أن البدو قد أعفوا زمن السلطنة العثمانية من الخدمة الإجبارية ومن دفع الضريبة، (إذ لا نجد في سجلات المحكمة الشرعية في طرابلس ما يشير إلى ذلك) ومن عمل السخرة وقالوا إنهم «فرمانيون» على أساس أن فرماناً قد صدر بإعفائهم. ومع ذلك فرضت عليهم الخدمة العسكرية الإجبارية مراوغة وباسم الدين عند اشتداد الحرب العالمية الأولى، مما كان له أكبر الأثر في عودتهم إلى الترحال، وفي عدم الاطمئنان إلى أية سلطة خارجية، بالابتعاد عنها وإنزال الخيام، فالرحيل عند قدوم أي ممثل للسلطنة «ابن حكومة»، ذلك أن الكثير من الرجال قد قضوا نحبهم أثناء الحرب.

ولهذا الحدث أثر كبير في التهرب من عملية الإحصاء التي جرت سنة ١٩٣٢، فبقي معظم السكان في وادي خالد دون قيد، مما انعكس سلباً على وضعهم الحالي حيث إن غالبيتهم دون هويات، وبالتالي فإن قضية تجنسهم لم تزل قيد الدرس.

الأصول السكانية في وادي خالد:

ينتمي عرب وادي خالد الحاليين إلى عشيرتين كبيرتين هما: العتيق وغنّام. يتفرع منهما عدة أفخاذ. وليس من الضرورة أن تكون بين هذه الأفخاذ قرابة دموية، إذ تسود بين القبائل المختلفة حالتان من العلاقات: حالة العداء وحالة السلام والوفاق.

وهاتان العلاقتان هما بين القبائل المتساوية في القوة والنفوذ كما هي الحال بين العتيق وغنّام، إضافة إلى حالة الحماية التي تكون من القبيلة الكبيرة والقوية، للقبائل الصغيرة المتفرقة التي لا تربطها بالقبيلة الكبيرة روابط دموية، بل تكون ملحقة بها وتحت حمايتها. وتعرف هذه الحالة في الوادي تحت عبارة «لحقة» أي أنها ملحقة بالعشيرة الكبيرة وتابعة لها.

عرب العتيق:

تعود هذه القبيلة في نسبها إلى منطقة العتيق الواقعة بين الرياض وحفر الباطن في السعودية. وقد خرجت هذه العشيرة من تلك المنطقة سعياً وراء الماء والكلأ. وكان ذلك في نهاية العصر العباسي وفي زمن الانحطاط. وانقسمت إلى عدة فروع:

- قسم منها استقر في المناطق الواقعة وراء نهر الفرات.

- قسم أكمل طريقه حتى وصل إلى جبل العرب (جبل الدروز) في سورية واستقر هناك.

أما عرب وادي خالد فوصلوا إلى عكار في زمن المماليك ونصبوا خيامهم في المناطق السهلية من وادي خالد حيث وجدوا المراعي الخصبة والماء الوفير وصاروا تنقلون محلياً ضمن منطقة الوادي وذلك وفق ما تقتضيه ظروف الرعي وتربية المواشي، وحسب تعاقب فصول السنة.

ويقول عرب العتيق في وادي خالد إنهم يمتون بصلة القربى لقبيلة العتيقي في الكويت وبأن الجميع من أصل واحد: العتايجة[١] بحسب اللهجة البدوية.

وهناك رواية أخرى تقول بأن أصل عرب العتيق من مكة المكرمة - البيت العتيق - وبأن نسبهم يعود إلى النبي محمد[٢] ﷺ، وبأنهم فرع من قبيلة العتيق

(١) مقابلة مع الشيخ علي أحمد العلي (أبو مالك الدوش) بتاريخ ١٨/٤/١٩٩٢

(٢) لوريس الراعي، **التعبير الاجتماعي في منطقة وادي خالد**، دبلوم في علم الاجتماع بإشراف الدكتور بطرس لبكي. مقابلة مع الشيخ أحمد اليوسف بتاريخ ٣١/٧/١٩٨٣، بيروت، ص ٢١.

المنتشرة في سورية والكويت. ففي سورية ينتشرون شمالي حلب وفي غوطة دمشق. أما القسم الكبير من هذه العشيرة فموجود في الكويت حيث يعرفون باسم «العتيقي» ومنهم وزير النفط والمال الكويتي السابق السيد عبد الرحمن سالم العتيقي. كما توجد مجموعة منهم في منطقة البقاع، لكن دراسة وافية في علم الأنساب لا تثبت ذلك كلياً، ومع ذلك هناك صلات وعلاقات تزاوج متبادلة بين الفريقين[١].

وتضم قبيلة العتيق في أفخاذها الدموية وفي العائلات الملحقة بها العشائر التالية: حسين، خلف، يوسف، صالح أو الصوالحة، شبالوه، أبو خوله، نعيمي، حماده، عويشي ويعرفون بعرب العويشات، غزو، فواعره، دراوشة ومعاجير أو معاقير.

أما مناطق سكنهم في وادي خالد فتتوزع على القرى التالية: الكنيسة، حنيدر، المجدل، العمايِر، كلخه، الدبادب، رجم خلف، رجم حسين، رجم صالح أو رجم عيسى، زبدين، العواده حيث أغلبية سكانها من قبيلة العتيق، المقيبلة التي تضم سكاناً من عشائر بدوية مختلفة.

ولا يعني أن تكون العشائر الملحقة تخضع خضوعاً كلياً للعشيرة الكبيرة، بل لكل منها الاستقلالية فيما يتعلق بشؤونها الخاصة وأحوالها الشخصية. والالتحاق بالعشيرة الكبيرة يكون بمثابة الدعم المعنوي والمادي والبشري الذي تقدمه العشيرة الكبيرة للأخرى الصغيرة ومناصرتها في حالتي الدفاع والهجوم.

وعرب العتيق، على تمسكهم بعاداتهم العشائرية وتراثهم البدوي الأصيل بما فيه من رموز كثيرة تظهر في أنماط حياتهم المعيشية. فالعتيقيون يعتزون بأنفسهم ويفتخرون بعاداتهم وبتفوق عرقهم وعلو نسبهم. ويحرصون على الظهور اللائق والمعتبر.

(١) لوريس الراعي، المرجع السابق، في مقابلة لها مع الشيخ أحمد إبراهيم بتاريخ ١٩٨٣/٧/١، ص ٢١.

عرب الغنّام:

تنتمي هذه العشيرة إلى عرب الموالي. وقد دعوا بالغنّام نظراً لاقتنائهم الأغنام وتربيتها. يشكلون أحد فروع هذه العشيرة المنتشرة في الأردن وفي بعض أرجاء لبنان. غير أن العلاقة بين هذه الفروع مقطوعة وليس هناك أي اتصال فيما بينها.

تتألف هذه القبيلة من ثلاثة أفخاذ رئيسية هي: الحمود، العسّاف والحسين. ويلحق بهم قسم من العشائر الموجودة في وادي خالد مثل الخضيرين والخطبة.

ويقطن عرب الغنام بأكثريتهم في قريتي الرامة والهيشة. أما الخطبة والخضيرين فيقيمون بأكثريتهم في قرية العواده.

يعرف عرب الغنام باهتمامهم بالأعمال التجارية وبتقربهم من الحياة المدنية، محاولين قدر المستطاع إخفاء الكثير من المظاهر البدوية. إنهم أقل عدداً من عرب العتيق، لكنهم أغنى منهم مادياً وأكثر سهولة في التأقلم مع المعطيات الاجتماعية الحديثة.

يضاف إلى هذه المجموعات البدوية، عشيرة آل عبيد الشيعية التي قدمت إلى وادي خالد سنة ١٩٥٨ من قرية قنافذ في الهرمل وسكنت قرية قرحا. وسبب الانتقال، كان على أثر خلاف آل عبيد مع آل ناصر الدين في الهرمل، مما حدا بآل عبيد لترك المنطقة والانتقال إلى قرحا التي كانت في السابق ملكاً للدنادشة، ثم انتقلت ملكيتها لعائلة حمصية من آل القصيّر. فاستقر آل عبيد فيها وعملوا كفلاحين عند آل القصيّر، واشتروا الأرض فيما بعد واتخذوا القرية سكناً نهائياً لهم بعد أن نقلوا نفوسهم من الهرمل إلى عكار في الستينات من هذا القرن.

إضافة إلى ذلك، ومع بداية أحداث ١٩٧٥، وفدت إلى وادي خالد الكثير من العائلات طمعاً بعمليات التبادل التجاري بين لبنان وسورية ونظراً لخصوبة التربة وجمال الطبيعة. من هذه العائلات بعض الدنادشة من المالكين السابقين

وبعض العلويين الذين كانوا قد نزحوا عن الوادي بعد أحداث ١٩٥٨ فعادوا إليه مجدداً.

كما أمت الوادي الكثير من العائلات البدوية التي قدمت إليه من مناطق مختلفة في سورية واتخذته سكناً لها.

الأوضاع الاجتماعية العامة للبدو في عكار:

عاش البدو في عكار، ولفترات طويلة حياة بدائية رعوية. وكان التخلف هو السمة البارزة في جميع نواحي حياتهم الاجتماعية والمعيشية والاقتصادية. فالأصل الأول عند العرب هي العائلة، والتوزيع السكاني/الاجتماعي مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالهيكلية العشائرية التي يجب أن تؤلف كلاً متجانساً وتتبع توجيهات شيخ واحد يكون بمثابة رئيس العشيرة، يمثلها في الأمور الهامة وتحتكم إليه عشيرته في كل ما يعترضها. من هنا، فإن الشخصية الفردية المسؤولة شبه معدومة. ويمتاز التصرف البدوي بالاتكال على شيخ العشيرة. ومع غياب دور الدولة في فترات كثيرة كان الشيخ يقوم بدور الحاكم والحكم، خاصة في زمن السلطنة العثمانية، وحتى أيام الانتداب الفرنسي، إذ ترك للبدو الحرية في مجال الأحوال الشخصية والتعامل الاجتماعي. وكان للعشيرة الواحدة أكثر من شيخ واحد وذلك بحسب توزع أماكن سكن الأفخاذ المتحدرة من نفس العشيرة.

وكانت للشيخ على أفراد قبيلته سلطة متناهية تكاد تكون مطلقة. وعليه يجب أن يكون حازماً، شديد المراس وعادلاً للمحافظة على مصداقيته تجاه تابعيه.

والبدوي يعيش بطبيعته متقشفاً، يرضى بشظف الحياة وقساوتها، ويقنع من الدنيا بما يسد رمقه ويروي عطشه. فطعامه بسيط جداً يرتكز على المنتجات الحيوانية والزراعية. أما اللحوم فقليلاً ما كان يتناولها، ولم يكن ذلك إلاّ في المناسبات الكبرى كالأعراس والمآتم والأعياد. ويعتمد في مصادرها على الماعز والأغنام والدجاج.

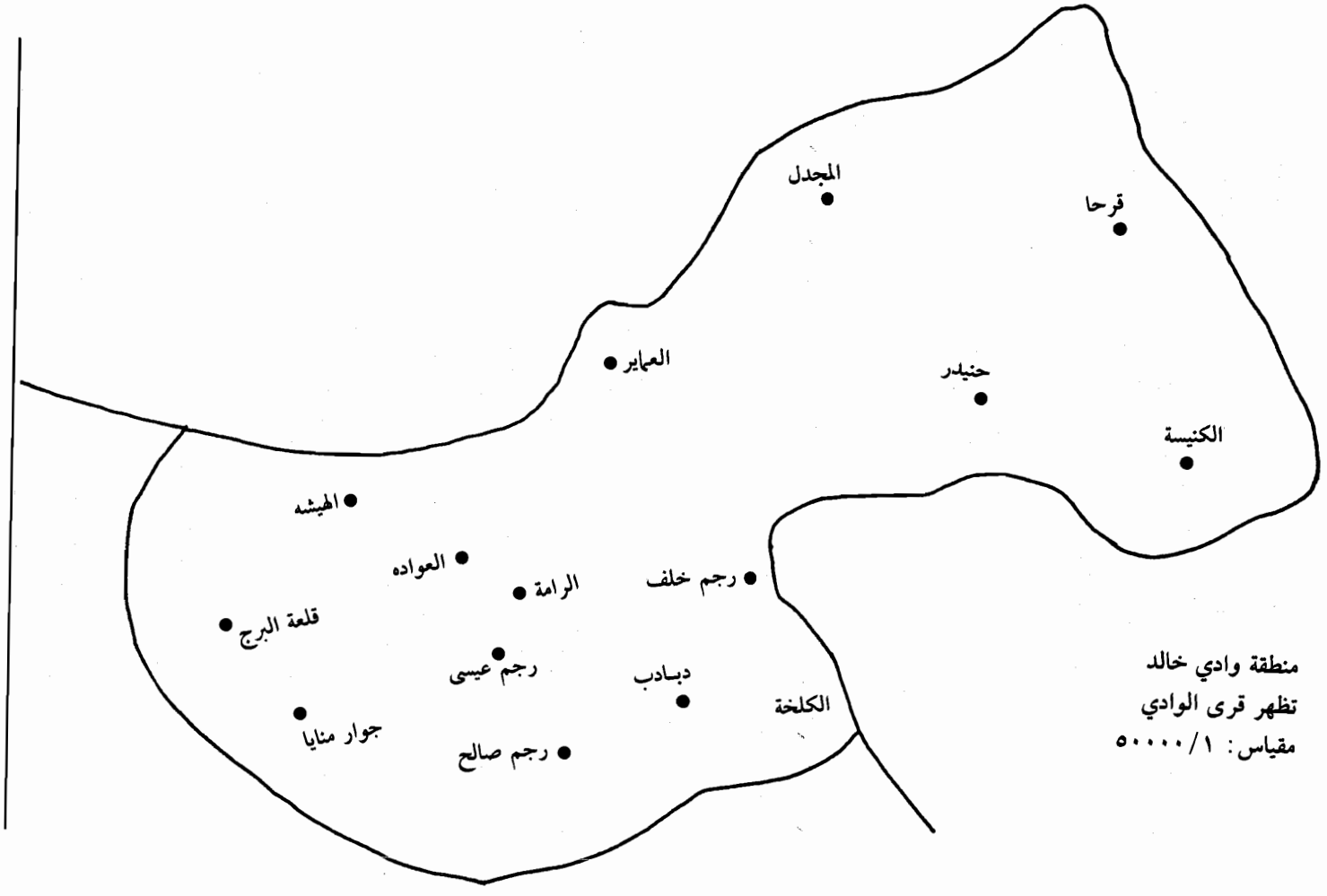
المجدل
قرحا
العمايرِ
حنيدر
الكنيسة
الهيشه
العواده
الرامة
رجم خلف
قلعة البرج
رجم عيسى
دبـادب
الكلخة
جوار منايا
رجم صالح
منطقة وادي خالد
تظهر قرى الوادي
مقياس: ١/٥٠٠٠٠

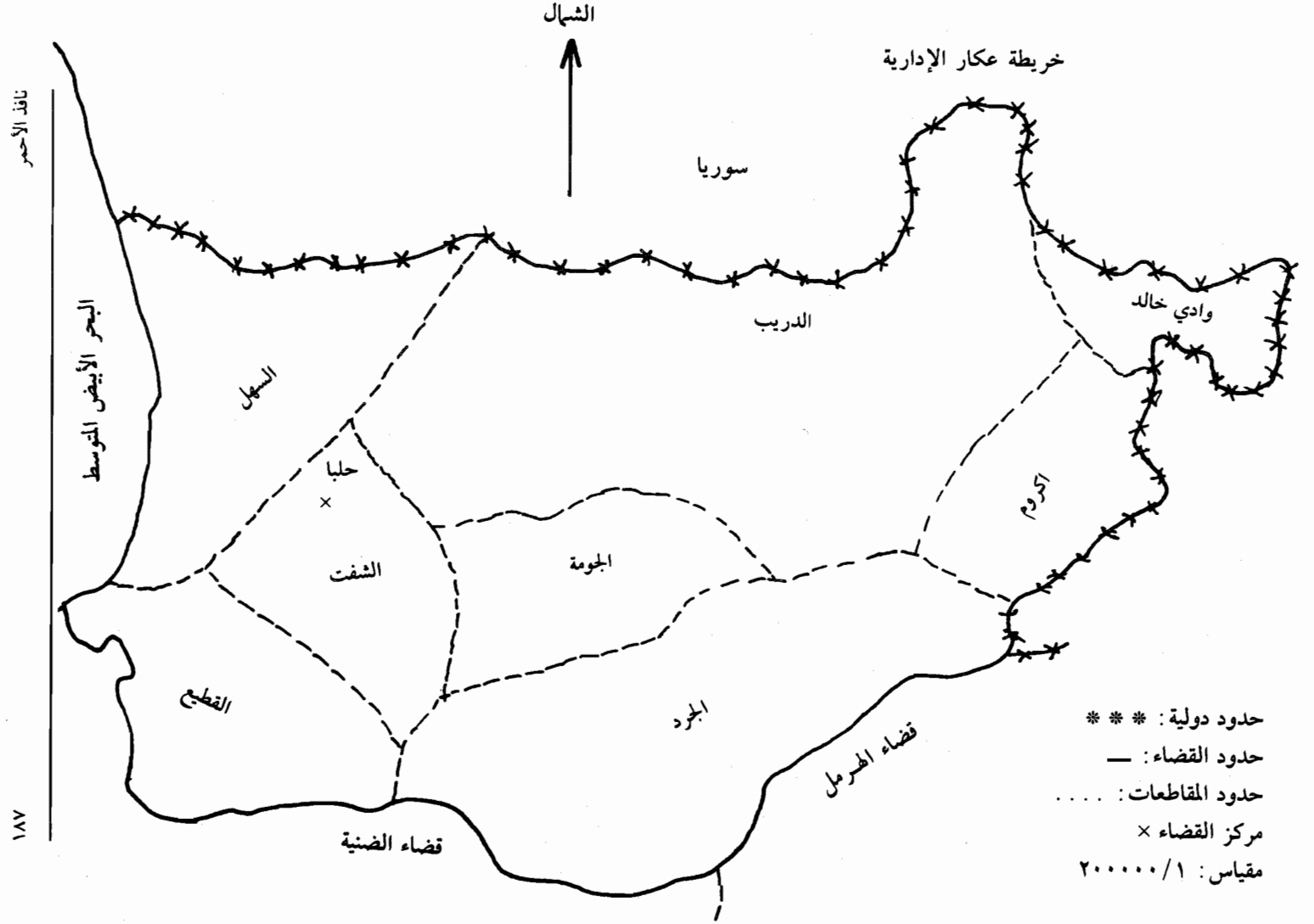
الشمال
خريطة عكار الإدارية
سوريا
الدريب
وادي خالد
البحر الأبيض المتوسط
السهل
حلبا
×
الشفت
الجومة
الكرم
القطيع
الجرد
قضاء الهرمل
قضاء الضنية
حدود دولية: * * *
حدود القضاء: ـــ
حدود المقاطعات: . . . .
مركز القضاء ×
مقياس: ١/٢٠٠٠٠٠

ولم يكن البدوي متديناً جداً، فهو لا يحسن الطقوس الدينية، وذلك نظراً لطبيعة حياته التي لم تعرف الاستقرار. والدليل على ذلك عدم وجود المساجد القديمة في أماكن سكن البدو في عكار.

وكانت مساكنهم عبارة عن أطناب وخيم هي مزيج من نسيج وبر الإبل والماعز، ألوانها سوداء أو غبراء، تنصب على ثلاثة أوتاد أو خمسة، ولا يزيد علوها عن خمسة أو ستة أقدام. وتقوم مخيماتهم في شبه حلقة غير منتظمة تتعاقب حولها الأطناب على خط واحد وفي أبعاد متفاوتة. وكانت كل عائلة تقيم في خيمة يشطرها حجاب فاصل بين جزئيها، واحدهما خاص بالنساء. وثمة فسحة تقوم على مقربة من المخيم تحظر فيها الماشية كل مساء. أما حراسة المخيمات فكانت منوطة بالكلاب التي تقوم بدور العسس الليلي.

والناحية العلمية والثقافية معدومة عند البدو، فهم لا يلمون أي إلمام بالعلوم الحديثة. وظلوا حتى فترة قريبة لا يحسنون القراءة والكتابة حتى الشيوخ منهم. لكنهم يميلون من هذه الناحية إلى حفظ الروايات والأقاصيص والشعر. ولهم شغف خاص برواية الأقاصيص، فهي تملأ أوقات الفراغ المتوفرة بكثرة عندهم.

بدأ بدو عكار بالتحضر اعتباراً من خمسينات هذا القرن، حيث إنهم بدأوا تدريجياً يتركون المغاور والكهوف والأطناب، للسكن في منازل حديثة. وظل هذا التطور السكني يتسع حتى بلغ ذروته في الوقت الحالي، إذ إن غالبية البدو تحولت إلى السكن في الأبنية الحديثة. كما أن للميسورين منهم، منازل فخمة جداً ومقصورات في كل من وادي خالد وبرج العرب وبعض قرى السهل.

أما الناحية العلمية فمتفاوتة بين عرب وادي خالد وعرب السهل.

في منطقة السهل نلاحظ نهضة علمية نسبية حيث إن الكثير من أبناء الجيل الصاعد يتابعون الدراسة في المدارس الرسمية التي أنشئت حديثاً في معظم قرى السهل ومدرستان ابتدائيتان لجمعية المقاصد الإسلامية، واحدة في بلانة الحيصة وأخرى في تل حياة.

أما في وادي خالد، فلم تزل الناحية العلمية ضعيفة جداً، حيث إن نفراً قليلاً منهم تعلم الكتابة وحفظ القرآن الكريم على يد الشيخ الذي يدعى عندهم «الملّ» (أي الذي يملي عليهم)، يعلمهم الديباجة (أي كتابة الرسائل) والخط والحساب الهندي وحفظ القرآن.

لكن في الوقت الحالي، نلاحظ نهضة علمية لا بأس بها، فالميسورون منهم يرسلون أولادهم إلى مدارس خاصة في قرى شدرا وعندقت والقبيات. كما أقيمت بعض المدارس الرسمية للصفوف الابتدائية والمتوسطة في قرى الهيشة والرامة والمقيبلة ورجم الصوالحة. بالإضافة إلى ذلك توجد مدرسة خاصة للأطفال في قرية العماير تدعى «مدرسة الجنان»، وأخرى في قرية الكنيسة تم بناؤها بدعم ليبي وتشرف عليها الأوقاف الإسلامية في لبنان.

وتتمتع المرأة البدوية بحرية اجتماعية فطرية نظراً لطبيعة سكنها في المضارب والخيام، فتهتم بأمور الرعي والزرع والحصاد. وحيث كان البدو يعيشون دائماً تحت سلطة الاقطاعيين (البكاوات) في عكار، لم تزل عند البعض منهم ترسبات نفسية تسمى «عقدة البيك» ويتجلى ذلك بالنسبة لتعدد الزوجات.

يتم الزواج في أكثر الأحيان بين أبناء العم من العشيرة الواحدة، ويقوم على مبدأ المصاهرة المتبادلة. والأهل هم الذين يرتبون هذه الأمور، إذ إن قيوداً صارمة لم تزل تفرض على الفتاة في هذا المجال، وأكثر الفتيات يتزوجن دون سابق تعارف أو تحابّ، فالحب بنظرهم يخرج عن الإطار الأخلاقي، والأهل هم الذين يقررون زواج بناتهم أو عدمه. وعمليات الثأر تعود في معظمها إلى سبب المساس بالعرض. والبدو لا يحبذون تعليم البنات بحجة الخوف من مراسلة الشباب ومغازلتهم.

وفي الميراث، فإن حصة الصبي تساوي حصة ابنتين.

ويحافظ البدو في عكار بشكل عام على لهجتهم البدوية إلى حد ما، حيث يلفظون حرف «الشين» بدلاً من حرف «الكاف»، ويظهر ذلك خاصة في تعاملهم مع بعضهم، أما مع الآخرين فيتكلمون باللهجة المحلية. كما أنهم في مناسبات

التعزية يفضلون نصب الخيام لتقبل التعازي، خاصة في وادي خالد.

اعتمد البدو في معيشتهم في الدرجة الأولى على تربية الأغنام وبيع منتجاتها. لكن مرّت بعض الأوقات التي تدنى فيها سعر الحليب مما اضطرهم إلى هدره وعدم بيعه، ولهذا اتجهوا إلى الأعمال التجارية التي أصبحت تدر عليهم أرباحاً هامة، خاصة في منطقة وادي خالد. والفارق الكبير بين عرب السهل وعرب وادي خالد هو أن عرب السهل يحملون الهوية اللبنانية، في حين أن سكان وادي خالد هم بأكثرهم دون تجنس باستثناء العدد القليل منهم. ويسعى هؤلاء السكان جاهدين طلباً للجنسية اللبنانية.

هذا الوعي لقضية تجنسهم؛ ازداد خاصة اعتباراً من سنة ١٩٧٥. ففي ٩ نيسان ١٩٧٥، قامت تظاهرة من عرب وادي خالد باتجاه مجلس النواب اللبناني في ساحة النجمة في بيروت مطالبة بالجنسية اللبنانية.

وفي أيلول ١٩٦٢ حضرت إلى الوادي لجنة لإحصاء السكان بقرار من كمال جنبلاط الذي كان وزيراً للداخلية آنذاك، وتم تسجيل جميع الأشخاص حتى عمر ١٦ سنة حصلوا بنتيجته على تسجيل تحت اسم «جنسية غير معينة».

سنة ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨ حصلوا على جنسية «قيد الدرس» دون ذكر مكان الولادة. هذه الجنسية كانت تجدد كل سنة برسم قدره ١٥ ليرة لبنانية.

سنة ١٩٧٢ وعد صائب سلام الذي كان رئيساً للحكومة آنذاك بإعفاء البدو من دفع رسم تجديد الجنسية «قيد الدرس». لكن بدلاً من ذلك ارتفع بدل الرسم إلى خمسين ليرة لبنانية.

في كانون الأول سنة ١٩٧٩، قدم وفد من عرب وادي خالد إلى بيروت وزار رئيس الحكومة آنذاك سليم الحص، شارحاً له الوضع العام في الوادي وطالبه بالحصول على الجنسية اللبنانية، فطلب رئيس الحكومة من الوفد رفع طلب خطي بهذا الصدد. سنة ١٩٨٠، ارتفع بدل الرسم عن الجنسية «قيد الدرس» إلى ١٥٠ ليرة لبنانية.

سنة ١٩٨٦، أصبح الرسم يدفع مرة كل ثلاث سنوات وبلغت قيمته ٣٦

ألف ليرة لبنانية. ولم تزل هذه القضية عالقة حتى اليوم. وإذا أراد أحدهم السفر خارج البلاد، يحصل على جواز صلاحيته لسنة واحدة.

استنتاج:

يتبين مما تقدم أن البدو يتوزعون على قسم كبير من خارطة عكار. فهم يشغلون مساحة هامة في منطقة السهل، حيث ابتنوا القرى والمزارع واندمجوا مع السكان المحليين، لدرجة أنه يصعب في كثير من الأحيان التمييز بينهم وبين بقية المواطنين. فهم يعملون في القطاعين العام والخاص ويتمتعون بحقوقهم كاملة في جميع المجالات.

أما منطقة وادي خالد، فجميع سكانها هم من أصل بدوي عربي ويؤلفون الكثير من القرى والمزارع المنتشرة على طول الوادي وعرضه. لكن مشكلتهم الأساسية هي عدم حصولهم على الجنسية اللبنانية حتى اليوم.